منهج الإمام ابن سيده (ت: ٤٥٨ هـ) في التعامل مع القراءات في معجمه المحكم والمحيط الأعظم «دراسة قرائية لغوية»

د. عصام بن دخيل الله الحربي•

ملخـــــص

هذا البحث يبين منهج الإمام ابن سِيدَهْ في التعامل مع القراءات القرآنية في كتابه (المحكم والمحيط الأعظم)، ويبين مكانة هذا الكتاب في علوم القراءات، وما يمكن أن يستفاد منه، علماً أنه من أكبر المعاجم اللغوية وآصلها وأكثرها مادة وأغزرها فائدة. ويهدف البحث إلى بيان جهود ابن سيده ومنهجه في خدمة القراءات من جهة تخصصه وإمامته في اللغة والنحو، من خلال كتابه المحكم. سلكت في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل للقواعد العامة وإيراد الأمثلة الموضحة للمقصود.النتائج التي توصل إليها: أن ابن سيده كان على دراية كبيرة بعلم القراءات، وأنه قد وجه جميع القراءات التي أوردها في كتابه، وقد بلغت عدتُها ٢٣٦ قراءة تقريبا، وتوجيهه إما بالنص، وإما بالاتكال على السياق العام للمادة التي يشرحها، وأن مذهب ابن سيده النحوي هو مذهب المدرسة الأندلسية التي تجمع بين المدرستين البصرية والكوفية، وهي أميل إلى البصرية كثيراً. يوصي البحث أن ابن سيده إمام في اللغة ونصوصه - في كتابيه المحكم والمخصص- في توجيه القراءات والكلام على معانيها قَيِّمَةٌ جداً، فأوصي بجمعها ودراستها. والمعاجم اللغوية الأصيلة تحوي مادة علمية كثيرة في توجيه القراءات فأوصى بدراستها من هذا الجانب وبيان مناهج العلماء فيها.

الكلمات المفتاحية: ابن سيده، المحكم، القراءات، التوجيه.

• أستاذ القراءات المشارك بجامعة أم القرى – مكة المكرمة.

Abstract

This research shows the method of Imam Ibn Sidah in dealing with Qur'anic (qira't); recitations in his book (almihkum walmuhit al`aezama); The greatest, conclusive and accurate it shows the position of this book in the science of (qira't); readings, and what can be learned from it, noting that it is one of the largest, original, most useful and most useful linguistic dictionaries. The research aims to demonstrate the efforts and methodology of Ibn Sidah in serving the (qira't); readings in terms of his specialization in language and grammar, through this book. The research, adopted the method of extrapolation and analysis of general rules and illustrated examples of what is intended. The research has come to many results the most important were : That Ibn Sidah was very familiar with the science of(qira't); readings, and that he directed all the readings that he included in his book, they were about 236 readings, and directed them either by the text, Or by relying on the general context of the material that he explains, Ibn Sidah's grammatical doctrine is the doctrine of the Andalusian school that combines Basra and kufa schools, he is more inclined to Bars school. The research recommends that Ibn Sidah is an imam in language and his texts - his well-designed and dedicated book - in directing readings and speaking on their meanings is very valuable, so the researcher recommend collecting and studying them. The original linguistic dictionaries contain a lot of scientific material in guiding the readings, so the researcher recommend studying them from this aspect and explaining the scholars curricula in it.

Key words: Ibn Sidah is arbitrator in (qira't); readings directing.

مقدمـــــة

اللهم لك الحمد كلَّه على ما أوليتنا من العطايا العظيمة، وعلى ما أسبغت علينا من النعم الجسيمة، أنت أهل الثناء والمجد، بلا حصر ولا مقدار ولا عَدٍّ، وأن جعلتنا من المشتغلين بالقرآن الكريم، بالدراسة والتعلم والتعليم، حمداً يوافي نعمك، ويكافي مزيدك.

وأسألك أن تصلي على سيدنا محمد النور الهادي، وسيد كل رائح وغادي، وعلى آله أهل الزهد والطهارة، وأصحابه ذوي النجابة والنضارة، وسلم تسليماً إلى يوم الدين.

وبعد فقد كنت قبل برهة من الزمن، وبالتحديد في أثناء تحضيري لرسالة الدكتوراه رجعت إلى كتاب ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم) مراتٍ عديدة، فوجدته احتوى على مادة كثيرة في القراءات، وهي جديرة بالدراسة، وكنت أستفيد من توجيهاته التي أوردها في كتابه المذكور، فعلق بذهني أن أبحث عن منهجه والتعريف بجهوده في القراءات حتى تتكون فكرة متكاملة عنه عند القراء المتخصصين في اللغة والقراءات، فبقيت الفكرة في ذهني حتى آن أوانها، فتفرغت لها وجمعت مادتها، فخرجت بما دونته في هذا البحث، راجياً أن يكون كفيلاً بالتعريف بجانب من جوانب الاهتمام العلمي عند الإمام ابن سيده، عَلَّني أُقَدِّمُ للباحثين في علم القراءات واللغة ما يفيدهم في كمال علمهم، ويحيطهم علماً بجانب من جوانب هذا الكتاب العظيم، فوضعت الخطة لذلك وشرعت في البحث، وأسأل الله العظيم التوفيق للإتمام.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان جهود ابن سيده ومنهجه في خدمة القراءات من جهة تخصصه وإمامته في اللغة والنحو، من خلال كتابه المحكم.

منهج البحث:

- سلكت في هذه الدراسة منهج الاستقراء والتحليل لكلام ابن سيده، محاولاً بذلك الوصول إلى تحديد منهجية في دراسة القراءات عنده، فتتبعت جميع القراءات الواردة في كتاب المحكم، ثم تناولتها بالتحليل والدراسة بما يقتضيه منهج البحث العلمي.
- اعتمدت منهج الاستنباط والاستدلال بالقرائن فيما يتعلق بالكلام على شيوخه وتلاميذه، حيث عَدِمَ النص في ذلك.
- حاولت في البحثِ بيان الفرق بين الدراسات اللغوية والدراسات القرائية عند ابن سيده في كتابه المحكم.
- لم ألتزم في هذا البحث إيراد جميع القراءات القرآنية التي جاءت في المحكم، وإنما أوردت نماذج منها على حسب ما يُحتاج إليه في توضيح المسألة المدروسة.
- اكتفيت في القراءات التي جاءت في نصوص كلام ابن سيده بتوثيقها من كتابه المحكم، لأن المراد بيان منهجه وليس تخريج قراءاته من مصادرها الأصلية.
- ترجمت للأعلام ترجمة موجزة عدا من كان من الصحابة الكرام والقراءة الأربعة عشر.

- أفرق بين القراءات المتواترة والشاذة بجعل القراءات المتواترة بين قوسين مزهرين مكتوبة بالخط العثماني، والقراءات الشاذة بين قوين هلالين مكتوبة بالخط الإملائي.
- عرضت آراء ابن سيده النحوية واللغوية على آراء النحويين من المدرستين للوقوف على مذهبه النحوي.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

قد يتساءل متسائل عن هذا الموضوع فيقول: هذا الكتاب (المحكم) في اللغة، وما علاقته بعلم القراءات؟ وما فائدة دراسته بالنسبة للمتخصصين في علم القراءات؟

أجيب عن هذا السؤال من ثلاث جهات:

الأولى: في بيان التداخل الحاصل بين علم القراءات وعلم اللغة.

والثانية: في مكانة القراءات في اللغة كرافد من روافدها في الكتاب، وكحجة لا جدال في إثبات معاني الكلمات وبِنْيَاتِهَا بها.

الثالثة: في أهمية ما نقل من القراءات في كتاب المحكم كماً ونوعاً.

أما **المسألة الأولى**: فالكلام فيها من وجهين:

الوجه الأول: أن غالب اللُّغويين كانوا قراء أو على الأقل كانوا على اطلاع كبير بالقراءات القرآنية باعتبارها متعلقة بأفصح الكلام، ومروية بأقوى الأسانيد، مقارنة بالشعر وغيره من مصادر اللغة.

ومن المعلوم أن علم النحو لا ينفك عن علم القراءات، حتى كان بعض القراء لايعترفون بالمقرئ الذي ليس له باعٌ في علم النحو والعربية،

ومن ذلك قول الحُصْري[1]:

لقد يدعي علم القراءات معشرٌ •• وباعهمُ في النحو أقصرُ من شِبْرِ

فإن قيل: ما إعـــراب هذا ووزنُهُ •• رأيتَ طويل البـاع يقصُرُ عن فِتْرِ[2]

وهذا كان شائعاً خاصة عند الأقدمين.

وبالاستقراء يمكن القول بأن ألصق علم بعلم القراءات من بين سائر العلوم الإسلامية هو علم النحو والعربية.

الوجه الثاني: من المعلوم أن شروط قبول القراءة ثلاثة، منها موافقة اللغة، فلو لم يوجد للقراءة أي تخريج أو وجهٍ في اللغة فإنها تكون مرفوضة، ولا يمكن أن تعد عربية فضلاً عن أن تعد قراءة قرآنية.

وهذا من أعظم صور التداخل الحاصل بين علم اللغة العربية وعلم القراءات.

وأما **المسألة الثانية**: فلا شك أن القرآن الكريم بالإجماع هو أقوى مصدر للعربية في جميع علومها، وكذلك قراءاته تأخذ الحكم نفسه لتعلقها به، ولأنها وجوه فيه، وجميع أهل العربية قد احتج بالقراءات كدليل قوي لإثبات ما يثبته من القواعد النحوية أو المعاني اللغوية.

وأما **المسألة الثالثة**: فمن المعلوم أن كتاب (المحكم) من الكتب المتقدمة؛ حيث إن مؤلفه توفي سنة ٤٥٨هـ، وقد احتوى على كثير من القراءات حيث بلغت عدتها قرابة (٢٣٦) قراءة والتي أخذ بعضها من بعض الكتب المفقودة ككتاب النوادر للحياني[3] وغيره، ولم أقف على من نقل القراءات عن

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري القيرواني، صاحب القصيدة الرائية في قراءة الإمام نافع، كان أديباً شاعراً عالماً بالقراءات وطرقها، (ت٤٨٨هـ)، انظر: الصلة لابن بشكوال (٤١٠)، معجم الأدباء (١٨٠٨/٤)، وفيات الأعيان (٣٣١/٣)، غاية النهاية: (٥٥٠/١).

(٢) القصيدة الحصرية: ٩٢، البيتان (١٦، ١٥)، وانظر أيضاً كلاماً نحو هذا لابن مجاهد في السبعة: ٤٥-٤٦.

(٣) لي بن المبارك، وقيل: ابن حازم، أبو الحسن اللحياني، صاحب كتاب (النوادر)، أخذ عن الكسائي، وأخذ عنه القاسم بن سلام،

اللحياني قبل ابن سيده.

وهذا الكم الكبير من القراءات مع قدم المصدر وفقدان بعض أصوله يبين أهمية دراسة الكتاب من هذه الناحية.

ومن خلال هذه الأجوبة تُدرك أهمية البحث وأسباب اختياره، أسأل الله العظيم أن يوفقني في إنجازه على أتم وجه.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تناولت هذا الموضوع كما قررته في العنوان والخطة، إلا بحثاً نشرته حولية كلية اللغة العربية بجرجا[1]، التابعة لجامعة الأزهر، للدكتور: مجدي فتحي محمد محمد قشيوط، وسماه: (القراءات القرآنية في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ت٤٥٨هـ دراسة صوتية صرفية)، وقد طالعتها ونظرت فيها، فإذا هي كما ذكر الباحث في عنوانه، دراسة اقتصرت على ما يتعلق بالصوت والصرف، مع الإشارة لماماً لبعض ما يتعلق بالمباحث النحوية والقرائية.

وقد امتازت الدراسة التي أقدمها بأمور منها:

١- ما تحمله عبارة العنوان من تحديد لنوع الدراسة، فالدكتور مجدي اتجهت دراسته إلى الموضوع الصرفي والصوتي، في حين أن دراستي اتجهت إلى الموضوع القرائي النحوي، والفرق واضح من هذه الجهة.

٢- بيان موقف ابن سيده من القراءات، سواء كانت متواترة أم شاذة، وشرح مقصوده ببعض المصطلحات التي وصف بها بعض القراءات، كالشذوذ، والندرة، والتخطئة.

انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٨٤٣/٤)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي (٢٥٥/٢)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي (١٨٥/٢).

(١) في العدد الحادي والعشرين، للعام ١٤٣٨هـ، الجزء الثالث.

٣- التعريف بكتاب المحكم، وبيان مصادر المؤلف في القراءات فيه، ومنهجه فيها.

٤- تطرقت لدراسة إحصائية للقراءات في كتاب المحكم وذكرت فيها مميزاته في علم القراءات.

٥- بيان مذهب ابن سيده النحوي، وأنه كان من مؤسسي المدرسة الأندلسية في النحو، وكذلك بيان منهجه في ضبط القراءات.

وعلى العموم فهذه الدراسة تُعنى بدراسة كتاب المحكم من جهة قرائية ولغوية، بخلاف بحث الدكتور مجدي، فإنه يُعنى بها من جهة صوتية صرفية كما دل عليه عنوان بحثه.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وفيها:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

الفصل الأول: **التعريف بابن سيده وبكتابه المحكم والمحيط الأعظم**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **التعريف بابن سيده**، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: **اسمه ونسبه وحياته.**

المطلب الثاني: **حياته العلمية وعصره.**

المطلب الثالث: **شيوخه وتلاميذه.**

المطلب الرابع: **مؤلفاته**

المبحث الثاني: **التعريف بكتابه المحكم.**

الفصل الثاني: **تعامل ابن سيده مع القراءات في كتابه**، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: **موقفه من القراءات**.

المبحث الثاني: **منهجه في إيراد القراءات في كتابه**.

المبحث الثالث: **منهجه في توجيه القراءات في كتابه**.

المبحث الرابع: **مصادره في القراءات في كتابه**.

الخاتمة: وفيها **أهم النتائج والتوصيات**.

الفهارس.

الفصل الأول

لتعريف بابن سيده وبكتابه المحكم والمحيط الأعظم

المبحث الأول

التعريف بابن سيده[1].

المطلب الأول

اسمه ونسبه وحياته

هو علي بن أحمد، وقيل: ابن إسماعيل، اشتَهر بابن سيده، أبو الحسن، الضرير بن الضرير، المرسي، الأندلسي، إمام أهل اللغة في عصره بلا منازع. ولد سنة (٣٩٨هـ) في مُرْسِيَة[2].

(١) انظر ترجمته في: طبقات الأمم، صاعد (٧٧)، جذوة المقتبس، الحميدي (٤٥٢)، مطمح الأنفس، الإشبيلي (٢٩١)، الصلة، ابن بشكوال (٣٩٦)، بغية الملتمس، الضبي (٥٤٥/٢)، معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، إنباه الرواة، القفطي (٢٢٥/٢)، مرآة الجنان، اليافعي (٦٤/٣)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٣٣٠/٣)، إشارة التعيين، اليماني (٢١٠)، تاريخ الإسلام، الذهبي (٩٩/١٠)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٤٤/١٨)، تاريخ ابن الوردي (٣٦٠/١)، مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري (٦١/٧)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠٠/٢٠)، نكث الهميان، الصفدي (١٨٨)، البداية والنهاية، ابن كثير (١١/١٦)، الديباج المذهب، ابن فرحون (١٠٦/٢)، لسان الميزان، ابن حجر (٥٠٠/٥)، شذرات الذهب، ابن العماد (٢٥٠/٥)، الأعلام، الزركلي (٢٦٣/٤).

(٢) مدينة بالأندلس اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وهي بضم أولها، وسكون الراء، وكسر السين، وفتح الياء مخففة، انظر: معجم البلدان، الحموي (١٠٧/٥)، الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري(٥٣٩).

درس على علماء مُرْسِيَة في أول حياته، فحصَّلَ العلوم في وقت مبكر، ساعده على ذلك قوة حافظته، يحكي أبو عمر الطلمنكي قال: "دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا علي الغريب المصنف، فقلت لهم: انظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأ علي من أوله إلى آخره، فعجبت من حفظه"[1]. شهد له القاصي والداني بقوته في العربية وإحاطته الكاملة بها.

عاش في دانية[2] حيث كانت مزدهرة بالعلم والعلماء في عهد أبي الجيش مجاهد ابن عبد الله العامري، وكان منقطعاً إليه، وألف له المؤلفات. توفي سنة (٤٥٨هـ) عن ستين عاماً.

المطلب الثاني

حياته العلمية وعصره

عاش ابن سيده في الدولة العامرية في الأندلس[3]، وكان عصر هذه الدولة من أزهى العصور العلمية بالنسبة للأندلس؛ حيث كان ملوك وأمراء هذه الدولة يعتنون بالعلم أشد عناية، ويتنافسون في جلب العلماء إلى نواديهم وجلب الكتب إلى مكتباتهم[4].

وهذه الأمور ساعدت ابن سيده على إكمال مسيرته العلمية واستغلال مواهبه أتم استغلال، حتى شهد له الناس بأنه أحفظ الناس للغة، قال أبو طاهر

(١) الصلة، ابن بشكوال (٣٩٧).

(٢) مدينة بشرق الأندلس على البحر، كانت قاعدة أبي الجيش العامري، وأهلها أقرأ أهل الأندلس، ومنها شيخ القراء أبو عمرو الداني، وتقع اليوم في جنوب شرق أسبانيا، انظر: معجم البلدان، الحموي (٤٣٤/٢)، الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (٢٣١/١).

(٣) نشأت الدولة العامرية في الأندلس على يد محمد بن أبي عامر سنة ٣٦٨هـ وسقطت سنة ٣٩٩هـ، وكانت تابعة للخلافة الأموية في الأندلس. انظر: الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية حضارية.

(٤) انظر: بغية الملتمس، الضبي (٦٣٣/٢)، معجم البلدان، الحموي (٤٣٤/٢).

السلفي: " سمعت أبا عبد الله محمد بن الحسن بن أبي زرارة اللغوي يقول: كان بالمشرق لغويٌّ وبالمغرب لغويٌّ في عصر واحد، ولم يكن لهما ثالث، وهما ضريران، فالمشرقي أبو العلاء التنوخي بالمعَـرَّة، والمغربيُّ ابن سيده الأندلسيُّ، وابن سيده أعلمُ من المعرِّيِّ، أملى من صدره كتاب المحكم ثلاثين مجلداً، وما في كتب اللغة أحسن منه"[١].

وقد كان الإمام ابن سيده ذا حظوة عند أمراء هذه الدولة مكنته من تأليف مؤلفاته، وكلها كانت بطلبهم ودعمهم[٢].

المطلب الثالث

شيوخه وتلاميذه

نظراً لسعة علم ابن سيده باللغة وغيرها من العلوم وقيامه بتحقيق مسائلها، ولشهرته ومكانته: فمن المفترض أن يكون له شيوخ كثير قرأ عليهم وسمع منهم، إلا أن كتب التراجم والتاريخ قد شحت علينا فلم تذكر من شيوخه إلا القليل، وهم ثلاثة:

١- أبوه (توفي بعد الأربعمائة بمدة)[٣].

٢- صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي اللغوي (ت ٤١٧هـ)[٤].

٣- أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ)[٥].

(١) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦).

(٢) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦) معجم السفر، السلفي (٣٤٨)، وبنحوه نقل الفيروز أبادي عن محمد بن الحسن في البلغة (٧٦).

(٣) ترجمته في: الصلة، ابن بشكوال (١٠٥)، وقد سبق ذكر اختلاف أهل التراجم في اسمه على أقوال: أشهرها إسماعيل وأحمد في ص٨.

(٤) ترجمته في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الشنتريني (٨/٧)، معجم الأدباء (١٤٣٩/٤)، تاريخ الإسلام (٢٨١/٩).

(٥) ترجمته في الصلة، ابن بشكوال (٤٨)، معرفة القراء الكبار، الذهبي (٧٣٣/٢)، غاية النهاية، ابن الجزري (١٢٠/١).

وكذلك الأمر في تلاميذه، فإن مكانة ابن سيده العلمية وخاصة في اللغة التي صار مقدماً فيها توجب أن يكون له تلاميذ كثير، إلا أن كتب التراجم والتواريخ لم تذكر شيئاً عنهم سوى ما ذكر من أخذ الأمير مجاهد العامري وابنه عنه، وهذا عجيب حيث إن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن تلاميذه.

المطلب الرابع

مؤلفاتـــــه

من تمام نعمة الله على العالم أن يُرزق حسن التأليف وجودته؛ ليبث ما من الله به عليه من العلوم، وقد كان لابن سيده حظٌ وافر من هذه النعمة؛ حيث إنَّه ألفَ المؤلفاتِ التي لا يجاريه فيها أحد، وأصبحت فيما بعد مصدراً لا يستغنى عنه في جميع المؤلفات اللغوية بعده، كلسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس وغيرها، وخاصة كتابه الذي أنا بصدد دراسة منهجه فيه بالنسبة للقراءات، وهو (المحكم) ، وقد ذكر المترجمون له (١٢) مؤلفاً وهذه أسماؤها:

١- المحكم والمحيط الأعظم[١].

٢- المخصص[٢].

٣- شرح المشكل من شعر المتنبي[٣].

٤- شرح إصلاح المنطق[٤].

٥- العويص في شرح إصلاح المنطق[٥].

(١) طبع عدة طبعات أجودها التي بمعهد المخطوطات العربية عام ٢٠٠٣م.
(٢) طبع بمطبعة بولاق ١٣١٦هـ، ودار صادر عام ٢٠١٠م، ودار الكتب العلمية عام ٢٠٠٥م.
(٣) نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٦م.
(٤) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، الوافي بالوفيات (١٠١/٢٠).
(٥) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤).

٦- الأنيق في شرح الحماسة[١].

٧- العالم والمتعلم[٢].

٨- الوافي في علم أحكام القوافي[٣].

٩- شاذ اللغة[٤].

١٠- شرح كتاب الأخفش[٥].

١١- كتاب في التذكير والتأنيث[٦].

١٢- العالم في اللغة[٧].

وزعم بعض الباحثين أن هذا الكتاب ليس من مؤلفات ابن سيده، وأن الغلط نشأ من ياقوت الحموي وتبعه على ذلك من ذكره بعده، واستصوبوا أن يكون من تأليف أحمد بن أبان بن سيد، فليبحث[٨].

وكل هذه المؤلفات الآن في حكم المفقود، ولا يعلم عنها شيء، سوى الثلاثة الأول؛ فإنها قد وجدت، وحققت، وطبعت، والحمد لله.

المبحث الثاني

التعريف بكتاب المحكم

هذا الكتاب الذي أنا بصدد دراسة منهج مؤلفه في التعامل مع القراءات القرآنية هو كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) الذي يعد من أمهات

(١) انظر: الصلة، ابن بشكوال (٣٩٦) ، معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، وفيات الأعيان، ابن خلكان (٣٣٠/٣) ، تاريخ الإسلام، الذهبي (٩٩/١٠).

(٢) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠)، لسان الميزان، ابن حجر (٢٠٦/٤).

(٣) ذكره في المحكم (٤/١)، ونُسب له أيضاً في معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤)، والوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠).

(٤) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤)، تاريخ الإسلام، الذهبي (٩٩/١٠) ، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠)، لسان الميزان، ابن حجر (٢٠٦/٤).

(٥) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٩/٤) ، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠).

(٦) نسبه إلى نفسه في مقدمة المحكم (١٤/١).

(٧) انظر: معجم الأدباء، الحموي (١٦٤٨/٤)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٠١/٢٠).

(٨) انظر: مقدمة تحقيق المحكم (٨/١).

المعاجم العربية؛ حيث اعتمد عليه كلُّ من أتى بعده اعتمادا كلياً، يقول ابن منظور[1]: "ولم أر في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي رحمهما الله، وهما من أُمَّهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات الطريق"[2].

وقال مرتضى الزبيدي[3] في تاج العروس: "وأعظم كتاب ألف في اللغة بعد عصر (الصحاح): كتاب (المحكم والمحيط الأعظم) لأبي الحسن علي بن سيده الأندلسي الضرير، ثم كتاب (العباب) للإمام رضي الدين الصاغاني قد وصل فيه إلى (بَكَمَ)"[4].

وقال القفطي[5]: "جمع في اللغة كتاب (المحكم) يقارب عشرين مجلداً لم ير مثله في فنه ولا يعرف قدره إلا من وقف عليه...لو حلف الحالف أنه لم يصنف مثله لم يحنث"[6].

وقد تواطأت ألسن أهل اللغة وغيرهم في الثناء عليه وتفضيله واعتماده، وقد صرح صاحب (اللسان) أنه ضمنه كتابه برمته[7]، وكذلك صاحب (القاموس المحيط) فقد أدخل فيه جميع مواده ولخص منه فوائده.

(١) محمد بن مكـــرَّم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، صاحب (لسان العرب)، (ت٧١١هـ)، انظر: فوات الوفيات، ابن شاكر (٣٩/٤)، الدرر الكامنة، ابن حجر (٥٢٠/٥)، بغية الوعاة، السيوطي (٢٤٨/١).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٢/١-٣).

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، أبو الفيض، الزبيدي، الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، صاحب (تاج العروس في شرح القاموس)، و(إتحاف السادة المتقين)، (ت١٢٠٥هـ)، انظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي (١٠٤/٢)، الأعلام، الزركلي (٧٠/٧).

(٤) تاج العروس، الزبيدي (١٢/١).

(٥) جمال الدين، علي بن يوسف بن إبراهيم، أبو الحسين، القفطي، صاحب (إنباه الرواة على أنباه النحاة)، كان عالما متفننا جماعاً للكتب، ولي الوزارة بحلب (ت٦٤٦هـ)، انظر: معجم الأدباء: ٢٠٢٢/٥، سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/٢٣.

(٦) إنباه الرواة، القفطي (٢٢٥/٢).

(٧) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٣-٤).

وقد رتبه على الترتيب الذي اخترعه الخليل بن أحمد الفراهيدي[١] في كتابه (العين)، وهو ترتيب على حسب مخارج الحروف، فبدأ بالأبعد فالأقرب إلى أن جاء للنهاية، هكذا: ع ح خ غ ق ك ج ش ص س ز ط ت د ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ء ي و ا.

ولم يترك هذا الترتيب على ما كان عليه، بل أدخل عليه بعض التغييرات والزيادات ليس هذا مقام شرحها[٢].

ومما امتاز به هذا الكتاب:

١- ثراء المادة اللغوية فيه، حتى وصفه من وصفه بأنه من أكبر الدواوين العربية وأغزرها مادة[٣].

٢- كثرة القراءات التي أوردها في كتابه، وقد تكلم عليها بالتوجيه والنقد.

٣- يمتاز عن جميع المعاجم بذكره للفوائد المتعلقة بعلم الصرف، وهذه يخلو منها جميع المعاجم، إلا ما كان واضحاً فالجميع يذكره.

وقد طبع عدة مرات من أجودها التي نشرها معهد المخطوطات العربية عام ٢٠٠٣م.

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو، الفراهيدي، من أئمة اللغة والأدب، واضع علم العروض، وهو شيخ سيبويه في النحو، له كتاب (العين) و(العروض)، (ت١٧٠هـ)، انظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي (٣١)، إنباه الرواة، القفطي (١/٣٧٦).

(٢) انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، نصار (١/٣٨٧)-٣٨٨، معجم المعاجم، الشرقاوي (٢٠١).

(٣) تاريخ ابن خلدون: ١/٧٥٨.

الفصل الثاني

منهج ابن سيده في التعامل مع القراءات في كتابه

المبحث الأول

موقفه من القراءات

يمتاز عصر ابن سيده بالعناية بالتحقيق في علم القراءات وخاصة في القطر الأندلسي، يدل على ذلك كثرة المؤلفات فيه، ويمتاز أيضاً بالتمييز بين المتواتر من الحروف والشاذ، كما امتاز بوجود أعلام كبار في علم القراءات، مثل الإمام أبي عمرو الداني، ومكي بن أبي طالب القيسي، وغيرهما.

ولم يكن ابن سيده غائباً عن هذه النهضة العلمية في علم القراءات، ولم يبدِ أي مخالفة لها في النتائج الكبرى التي وصلت إليها، ومنها اعتبار القراءات السبع متواترة، والحكم بتشذيذ ما سواها.

ومن خلال ما تقدم ذكره من الشائع في عصره رحمه الله ومن خلال استقراء القراءات في كتاب المحكم نخلص إلى ما يلي:

١- ينبغي للناظر في كتاب (المحكم) من جهة القراءات أن يأخذ بعين الاعتبار أن هذا الكتاب ليس كتابَ قراءاتٍ بالأصالة، وإنما هو كتابُ لغةٍ، فهو يورد القراءات؛ ليحتج بها لإثبات معنى أو بنية كلمة، كما يحتج في ذلك بالشعر وكلام العرب، فلا يحاكمه القارئ إلى اصطلاحات القراء وقواعدهم، بل يجب عليه أن ينظر إليه في هذا الإطار.

٢- يظهر من خلال تعامل ابن سيده مع القراءات ولو كانت شاذة: أنه يعتبرها من أجود ما يستشهد به في مجال اللغة، وأنها أقوى من الشعر في إثبات المواد اللغوية، قال رحمه الله بعد ذكره قول الشاعر: إذا غطيفُ السلمي فرَّا.

أراد: غطيفٌ السلمي، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، وهو كثير حتى إن بعضهم قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدُ اللهُ﴾ [الإخلاص:١]، فحذف التنوين من أحد"(١).

فهنا أورد القراءة الشاذة بصيغة تدل على أنه يراها أقوى في إثبات هذه اللغة من الشعر، وهذا الذي ينبغي أن يكون، فإن الشعر يحتمل فيه الضرورة والخطأ واللحن بخلاف القراءة، فليس هناك مجال للضرورة فيها، وكذلك التلحين، وخاصة إذا ثبتت روايتها؛ لأنها في الغالب تروى عن أفصح الناس.

وقال في موضع آخر: "وقرأ بعضهم ﴿ما وَدَعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى:٣]، قال:

وكان ما قَدَّموا لأنفسِهِمْ •• أكثرَ نفعاً من الذي وَدَعُوا

وقال ابن جِنِّي(٢): إنما هذا على الضرورة لأن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس وإن لم يرد به سماع"(٣).

فهنا نرى أن ابن سيده أثبت اللغة بالقراءة ثم ذكر الشعر، وذكر تعليق ابن جني على الشعر، ولم يذكر تعليقا على القراءة لاختصاص التعليل بالضرورة بالشعر.

٣- أن ابن سيده كان يقول بتواتر القراءات السبع كما هو الشائع في عصره، ويشهد لذلك عدم تشذيذه لشيء منها في معجمه، أما القراءات الثلاث المتممة للعشرة وأعني بها قراءة الأئمة أبي جعفر المدني ويعقوب البصري وخلف الكوفي فليس لابن سيده نص في تشذيذها أو تصحيحها، وقد

(١) المحكم: ١٨٨/٤.

(٢) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة اللغة والأدب، له مصنفات كثيرة منها: (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القرآن والإيضاح عنها)، و(سر صناعة الإعراب) و(الخصائص)، (ت٣٩٥هـ)، انظر: إنباه الرواة، القفطي (٣٣٥/٢)، بغية الوعاة، السيوطي (١٣٢/٢).

(٣) المحكم (٢٣٨/٢).

تتبعت انفراداتهم عن القراء السبعة فوجدت أن ابن سيده قد أورد شيئاً منها في معجمه دون نسبته إليهم، بل صدَّرَ بعضها بصيغة: (قرئ) كقراءة ﴿إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٥]، بتشديد الياء[١]، وهي قراءة الإمام أبي جعفر، وبعضها بصيغة: (وفي بعض القراءة) كقراة ﴿رَبِّ السَّجْنُ﴾ [يوسف:٣٣]، بفتح السين[٢]، وهي قراءة الإمام يعقوب، وبعضها بصيغة: (وفي القراءة الأخرى) كقراءة ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُم تَقِيَّةً﴾ [آل عمران:٢٨]، بفتح التاء وكسر القاف بعدها ياء مشددة[٣] وهي قراءة الإمام يعقوب، فلا يمكن - والحالة ما ذكرت - القطعُ بموقفه منها، كما لا يمكن القطع بتحديد موقف بعض علماء عصره منها.

٤- عرض الإمام ابن سيده في كتاب المحكم إلى نقد بعض القراءات، فوصف بعضها بالشذوذ، وبعضها بالندرة، وخطَّأ بعضها، وليكن كلامنا هنا لبيان مراده بهذه الألفاظ ليتضح بذلك هل ابن سيده ممن يرد شيئاً من القراءات أم لا؟

قال رحمه الله:

- "ومن الشاذِّ قراءة من قرأ: ﴿فَانفَجَرَتْ منهُ اثنَتا عَشرَةَ عَيناً﴾ [البقرة:٦٠]، بفتح الشين"[٤].
- وقال: "وقال اللَّحيانيُّ: أَثابَه اللهُ مَثُوبَةً حَسَنَةً، وَمَثْوَبَةٌ شاذٌ، ومنه قراءة من قرأ: ﴿لمَثْوَبَةٌ من عندِ اللهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة:١٠٣][٥].

(١) المحكم (١٢/٢٢٠).
(٢) المحكم (٧/١٩٦).
(٣) المحكم (٦/٣٧١).
(٤) المحكم (١/٢١٨).
(٥) المحكم (١١/١٩٤).

• وقال: "قراءة أهلِ الكوفة ﴿أَئِمَّةَ﴾ [التوبة:١٢]، بهمزتين شاذٌّ لا يقاسُ عليه"(١).

فأما وصفه لبعض القراءات بالشذوذ فغالب ذلك وقع منه على الشاذ في اصطلاح القراء، فلا إشكال فيه؛ إذ هو شاذ قراءة ولغة، وإنما الإشكال فيما وقع منه في حق المتواتر بذلك، كما في المثال الأخير، وباستقراء المواضع التي شذَّذَ أو حكم فيها بشذوذ المتواتر تبين لي أنه لا يريد بذلك الشاذ في اصطلاح القراء، الذي يترتب عليه رفض القراءة وعدم جواز التلاوة بها، وإنما مراده الشاذ في اصطلاح النحويين، وهو ما نقل من كلام العرب مخالفاً لقاعدة معلومة عند النحويين، أو جاء مخالفاً للمشهور من المسموعات من كلام العرب.

وقد عَـبَّرَ عنه في موضع آخر بالندرة واستعملهما بمعنى واحد، حيث قال: "فأما قراءة بعضهم: ﴿يكادُ سَنَا بَرْقِهِ يُذْهِبُ بِالأَبصَارِ﴾ [النور:٤٣] فنادر"(٢).

وزاد ووضح ذلك في قوله رحمه الله: "وقرأ عبد الله بن مسلم(٣): ﴿حتى أَبْلُغَ مجمِعِ البحرين﴾ [الكهف:٦٠]، وهو نادر، كالمشرق والمغرب، أعني أنه شذَّ في باب فَعَل يَفْعَلُ، كما شَذَّ المشرق والمغرب ونحوهما من الشاذ، في باب فَعَل يَفْعُل"(٤).

وأما قوله بتخطئة القراءة فلم يقع منه ذلك على حسب استقرائي إلا

(١) المحكم (٢١/٢٢٤).
(٢) المحكم (٤/٢١١)، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة، انظر: النشر، ابن الجزري (٤/٢٥٠٢).
(٣) عبد الله بن مسلم بن يسار، من التابعين، أدرك أنس ابن مالك، أبوه مولى طلحة بن عبيد الله، روى عنه أهل البصرة، انظر: الثقات، ابن حبان (٥/٦٠).
(٤) المحكم (١/٢١١).

في موضع واحد في قراءة أبي عمرو بن العلاء ﴿نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [ق:٤٣] بالإدغام، قال رحمه الله: " فأما قراءة من قرأ: ﴿نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ فلا بد أن تكون النون الأولى مختلسةَ الضمة تخفيفاً، وهي بمنزلة المتحركة، فأما أن تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنةٌ فخطأ"(١).

وليس في هذا الكلام إنكار بلا تأويل، بل هو قد أقرَّ بالقراءة، ولكن لم يُقِرَّ بكيفية أدائها ، وذلك لأن كيفية الأداء المذكورة والتي ردَّها وخطَّأها مخالفة لما أجمع عليه أهل اللغة والنحو من عدم جواز اجتماع الساكنين في لغة العرب.

ومستند رفضه الأصل الذي أصله القراء، وهو اشتراط موافقة اللغة ولو من وجه في صحة قبول القراءة، ولذلك لجأ ابن سيده إلى القول بالاختلاس القريب في سمع السامع من الإدغام، ورفض حمل القراءة على الإدغام الناتج عن السكون المحض. وهذا هو مذهب المتأخرين من القراء، ومذهب المتقدمين الإدغام المحض(٢).

وصرح الإمام ابن الجزري بصحة الوجهين معاً، قال في النشر: "وكلاهما ثابتٌ صحيحٌ مأخوذ به"(٣).

المبحث الثاني

منهجه في إيراد القراءات

لم ينص ابن سيده على بيان منهجه في إيراد القراءات، ولا على كيفية تعامله معها متواترة كانت أو شاذة، لا من قريب ولا من بعيد، وقد اجتهدت

(١) المحكم (٢/٣٧٦).
(٢) انظر النشر، ابن الجزري (٢/٩٥٥).
(٣) المصدر السابق، وانظر: لطائف الإشارات، القسطلاني (٢/٧٣٢-٧٤٠).

في بيان منهجه في ذلك بعد الاستقراء والتتبع، وهذا ما وصلت إليه:

١- أولاً يجب أن يعلم أن ابن سيده كان يورد القراءات في سياق لغوي، بمعنى أنه يوردها للاحتجاج اللغويِّ لإثبات كلمة، أو بناء، أو ضبط، أو غير ذلك من أحوال الكلم واختلافها، فلا ينبغي أن نستغرب إذا وجدناه مثلاً يساوي بين القراءات الشاذة والمتواترة في الاعتبار والذكر، أو وجدناه يُعَبِّرُ بما يُفهَمُ منه رد بعض المتواتر[1] غير ناظر إلى سنده ولا منبه عليه، لأن ذلك كان بالنسبة إليه في سياق لغوي محض.

٢- في عزوه للقراءات إلى أصحابها كان تارة ينص على صاحب القراءة الموردة، وتارات كان يوردها دون عزو، وهذا الذي سلكه في هذا الكتاب وفي المخصص أيضاً.

وكون الغالب عليه عدم نسبة القراءة إلى أصحابها ربما يرجع ذلك إلى عدم اهتمام الناس في زمنه بذكر المصادر اكتفاء بثقة الشيخ، أو أن القراءات من المسلم ثبوت الحجة اللغوية بها، فلا شيء يدعو إلى ذكر أصحابها وتوثيقها توثيقاً تاماً، أو أن التوثيق في ذلك ربما أخرج الكتاب عن المقصود الذي هو في اللغة خاصة.

هذا ما بدا لي من أسباب أحسب أنها هي التي كانت وراء عدم ذكرهم للنسبة، وقد يكون معها غيرها فليبحث، ولا تزاحم في الفوائد.

٣- ترك المؤلف – كما هي عادة المؤلفين في زمانه- ذكر مصادره، فلم أجده - في حدود اطلاعي – يذكر المصنفات التي رجع إليها، وإنما كان في

(١) وقد مرَّ في مبحث بيان موقفه من القراءات ص (١٤-١٥) أن الصحيح أن ابن سيده لم يرد أي قراءة متواترة.

بعض الأحيان يذكر المصنفين والأئمة كابن جني والأخفش[1] وثعلب[2] وغيرهم، ولم ينص على مصنفاتهم التي أخذ منها بالتعيين[3].

٤- كثيراً ما كان ابن سيده يورد القراءات المتواترة بصيغة (قرئ) المبني للمفعول أو ما يؤدي مؤدى هذه العبارة، وهي عبارة - على ما جرى به الاصطلاح عند المتأخرين - تستعمل لما لم يصح من الأخبار، ويصفها بعضهم بصيغة التمريض.

ولكن ابن سيده سلك في إطلاقها المسلك اللغويَّ على الأصل في دلالتها على الفاعل المجهول مجرداً عن أي معنى خارج، فلا ينبغي أن ينكر عليه في استعمال ذلك، ومثال ذلك قوله:

- وقُرئ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ و﴿إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٥]، أي رجوعَهم [4].
- وقوله: وقد قرئ: ﴿وأدْبَار﴾ ﴿وإِدْبَارَ﴾ [ق:٤٠]، فمن قرأ ﴿وأدْبَار﴾ فمن باب خَلْف ووراء، ومن قرأ ﴿إِيَابَهُمْ﴾ فمن باب خُفُوقِ النجم [5].

ففي هذين المثالين نجد أنه استعمل صيغة المبني للمجهول في القراءات المتواترة، وهذا قطعاً ينص على ما شرحته من أنه لا يريد المعنى الاصطلاحي لـ(قرئ)، وإنما يريد المعنى اللغوي المجرد.

٥- من منهجه في إيراد القراءات: أنه يوردها بحسب المادة المناسبة للحرف المختلف فيه، وتبعا لذلك تجد القراءات في بعض الأحيان مفرقة في

(١) سعيد بن مسعدة، أبو الحسن، الأخفش الأوسط، أخذ العربية عن سيبويه، وكان أسن منه، له عدة مصنفات منها: (معاني القرآن)، (ت ٢١٥هـ)، انظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي (٤٠)، إنباه الرواة، القفطي (٣٦/٢).

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، من مصنفاته (الفصيح) و (مجالس ثعلب)، (ت٢٩١هـ)، انظر: معجم الأدباء، الحموي (٥٣٦/٢)، إنباه الرواة، القفطي (١٧٧/١).

(٣) وللاستزادة انظر مبحث مصادر المؤلف ص (٣١).

(٤) قرأ أبو جعفر بالتشديد، وقرأ باقي العشرة بالتخفيف، انظر: النشر، ابن الجزري (٢٧٢٩/٤).

(٥) كسر الهمزة المدنيان وابن كثير وحمزة وخلف، وفتحها باقي العشرة، انظر: النشر، ابن الجزري (٢٦٤٧/٤).

مواضع مختلفة من كتابه، وتارة تجدها مجتمعة في مادة واحدة، ومرد ذلك كله إلى أنه إذا كان اختلاف القراءتين يؤدي إلى الاختلاف في المادة اللغوية، فإنه يُفرِّق القراءات بحسب المادة، وإذا لم تختلف المادة فإنه يجمعها في موضع واحد، فمن القراءات التي فرقها بحسب ورود مادتها العلمية قراءة: ﴿بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤]، بالضاد والطاء، فذكر الأولى في مادة (ض ن ن)[١]، والثانية في مادة (ظ ن ن)[٢]، وكذا قراءة: ﴿سَلَقُوكُم﴾ و(صَلَقُوكُم) [الأحزاب:١٩] الأولى في مادة (س ل ق)[٣]، والثانية في مادة (ص ل ق)[٤].

أما القراءات التي جمعها في مكان واحد؛ لاجتماع مادتها اللغوية فيه، فمثالها: قراءة ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٣٧] بضم الخاء واللام، أو بفتح الخاء وإسكان اللام، في مادة (خ ل ق)[٥]، وكذا القراءات في ﴿دَرَسْتَ﴾ [الأنعام:١٠٥] جمعها في مادة (د ر س)[٦].

٦- ينقل ابن سيده كلام علماء النحو واللغة في توجيه بعض القراءات، ولم يقتصر على النقل في بعض المواضع، بل كان يُتْبِعُ ذلك بنقده الذي يدل على طول باعه في علم اللغة والنحو، وذلك مثل قوله:

- "فأما ما حكاه الأصمعي[٧] من قراءة بعضهم: (اهدنا الزِّراط) [الفاتحة:٦] بالزاي المُخْلَصَةِ فخطأ، إنما سمع المضارِعة[٨] فتوهمها زاياً،

(١) انظر: المحكم: ١٠٧/٨.
(٢) انظر: المحكم: ١٢/١١.
(٣) انظر: المحكم: ١٤٤/٦.
(٤) انظر: المحكم: ١٢٨/٦.
(٥) انظر: المحكم: ٣٨٧/٤.
(٦) انظر: المحكم: ٢٩٦/٨.
(٧) عبد الملك بن قريب الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، (ت٢١٦هـ)، انظر: أخبار النحويين البصريين، السيرافي (٤٦)، إنباه الرواة، القفطي (١٩٧/٢).
(٨) أي المشابهة، وهو الإشمام لأن فيه مشابهة الزاي بالصاد بالإشمام.

ولم يكن الأصمعي نحوياً فيُؤمَنَ على هذا"[1].

- وقوله: والوعد من المصادر المجموعة، قالوا: الوعود، حكاه ابن جني، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، أي إنجاز هذا الوعد أرونا ذلك، وقوله ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة:٥١]، ويقرأ: ﴿وَعَدْنَا﴾، قال أبو إسحاق: اختار جماعة من أهل اللغة: ﴿وإذ وَعَدْنَا﴾ - بغير ألف - وقالوا: إنما اخترنا هذا لأن المواعدة إنما تكون من الآدميين، فاختاروا ﴿وَعَدْنَا﴾، وقالوا: دليلنا قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقّ﴾ [إبراهيم:٢٢] وما أشبهه، قال: وهذا الذي ذكروه ليس مثل هذا، وأما واعدنا هذا فجيد؛ لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من الله تعالى وَعْدٌ، ومن موسى صلى الله عليه وسلم قبول واتباع، فجرى مجرى المواعدة"[2].
- "والثُمُر: الذهب والفضة، حكاه الفارسي[3] يرفعه إلى مجاهد[4] في تفسير قوله: ﴿وكانَ لَهُ ثُمُرٌ﴾ [الكهف:٣٤] فيمن قرأ به، قال: وليس ذلك بمعروف في اللغة"[5].

٧- الغالب عليه الاقتصار على توجيه الفرش، وقد وجه بعض الأصول كالإمالة في ﴿طَحَاهَا﴾ [الشمس:٦][6] و﴿بَلَى﴾ [البقرة:٨١][7]، و﴿وَمَحْيَايَ﴾

(١) المحكم (٨/٢٨٥).
(٢) المحكم (٢/٢٣٦).
(٣) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي، الفارسي، أحد الأئمة في علم العربية، أدرك الزجاج وابن السراج وأخذ عنهما، من مصنفاته: (الحجة للقراء السبعة) و(التعليقة على كتاب سيبويه)، انظر: إنباه الرواة، القفطي (١/٣٠٨)، بغية الوعاة، السيوطي (١/٤٩٦).
(٤) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، المكي، الإمام، شيخ المفسرين، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس، (ت١٠٣هـ)، وقيل غير ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء: ٤/٤٤٩، طبقات المفسرين، الأدنه وي (١١).
(٥) المحكم (١١/٩٦).
(٦) المحكم (٣/٣٧٣).
(٧) المحكم (١٢/٤٩).

[الأنعام:١٦٢][١] في ياءات الإضافة، و﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢][٢] في ياءات الزوائد.

٨- الغالب عليه ترك ضبط القراءات التي يوردها، وذلك اتكالاً منه على سياق المادة التي استشهد لها بالقراءة، وفي بعض المواضع ضبط ببعض طرق الضبط المشهورة مثل:

- الضبط ببيان نوع الحرف مثل قوله:

- "فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم (اهدنا الزِّراطَ) [الفاتحة:٦] بالزاي المُخْلَصَة فخطأ"[٣].
- وقوله: "وذهب أَبو عثمان المازني[٤] في قراءة من قرأ: ﴿ياأَبَتَ﴾ [يوسف:٤] بفتح التاء"[٥].
- وقوله: "وفي قراءة عبد الله ابن مسعود: ﴿وإذا السَّمَاءُ قُشِطَتْ﴾ [التكوير:١١] بالقاف"[٦].

- الضبط ببيان نوع الحركة، مثل قوله:

- "وحكى الأخفش أن بعضهم قرأ: ﴿ومن يُهِنِ اللهُ فماله مِنْ مُكْرَم﴾ [الحج:١٨] بفتح الراء"[٧].
- وقوله: "ومن الشاذ قراءة من قرأ: ﴿فانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة:٦٠] بفتح الشين"[٨].

(١) المحكم (٤/٣).
(٢) المحكم (٢٣٨/٨).
(٣) المحكم (٢٨٥/٨).
(٤) بكر بن محمد بن بقية، أبو عثمان، المازني، البصري، كان إماما في العربية، متسعاً في الرواية، من مصنفاته: (ما تلحن فيه العامة)، (ت٢٤٩هـ)، وقيل غير ذلك، انظر: إنباه الرواة، القفطي (٢٨١/١)، بغية الوعاة، السيوطي (١/ ٤٦٣).
(٥) المحكم (١٢٧/١٢).
(٦) المحكم (٩٥/٦).
(٧) المحكم (٢٠٨/١).
(٨) المحكم (٢١٨/١).

- وقوله: "ابن جني: وقراءة من قرأ: ﴿فرَّقنا بِكُمُ البَحْرَ﴾ [البقرة:٥٠] بتشديد الراء شاذة"(١).

• الضبط بالتشبيه بالمثال الأشهر، مثل قوله:

- "وقد قرئ: ﴿رِيَاشاً﴾ [الأعراف:٢٦]، على أن ابن جني قال: رِياشٌ: جمع رِيش، كلهْب ولِهَاب"(٢).
- وقوله: "فأما من قرأ: ﴿نُشُرًا﴾ [الأعراف:٥٧] فهو جمعُ نَشُورٍ، مثل رَسُول ورُسُل"(٣).
- وقوله: "وحكى أبو الحسن الأخفش قراءةَ: ﴿فَبَهِتَ﴾ [البقرة:٢٥٨] كخَرِقَ ودَهِشَ"(٤).

المبحث الثالث

منهجه في التوجيه

لم يزل النحويُّونَ في كلِّ زمان ومكان يتعرضون لقراءات القرآن الكريم بالإعراب وأنواع التوجيهات والتخريجات التي توجبها الصناعة النحوية، حتى صار هذا الفعل من جملة العلوم اللغوية التي لا بد للنحوي واللغوي من أن يكون له نصيب منها، وذلك لتعلقها بأفصح كلام.

وعلى ذلك سار الإمام ابن سيده، فلا توجد هناك مناسبة في مادة من مواد اللغة إلَّا وأورد في كتابه من الآيات أو القراءات ما يناسب المقام، وأتى له بتوجيهات لغوية، ناقلاً عن غيره، أو مجتهداً فيها.

(١) المحكم (٦/٢٣٤).
(٢) المحكم (٨/٧٢).
(٣) المحكم (٨/٣٢).
(٤) المحكم (٤/٢٠١).

وفي هذا المبحث أود أن أصف منهجه في هذا التوجيه، وذلك في النقاط التالية:

١- بالنسبة إلى تعيين مذهبه النحوي، لا نستطيع الجزم بانتمائه إلى مدرسة معينة، لا إلى مدرسة البصريين، أو إلى مدرسة الكوفيين، وذلك لعدم تصريحه بذلك، ولأنه في كتابه يعتمد كلا المدرستين، لذلك فالحكم الذي ينبغي التصريح به في هذه المسألة هو أن يقال: إن الإمام ابن سيده من أئمة المدرسة الأندلسية، ومن المعلوم أن المدرسة الأندلسية قد جمعت بين المدرستين، واستفادت من علوم المِصْرَين، وإن كانت إلى البصريين أميل في الإطار العام للنحو العربي، لكنها لم تهمل ما تضمنه المذهب الكوفي من الفوائد والمحاسن[١].

والإمام ابن سيده يظهر لي أنه لم يخرج عن مدرسته التي هو من صناعها، يدل على ذلك تنوع تعامله، في مثل قوله:

- "فقد يكون جمع تِجار[يعني تُجُر]، على أَنَّ سيبويه[٢] لا يَطْرُدُ جمع الجمع، ونظيره عند بعضهم قراءة من قرأ: ﴿فرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة:٢٨٣]، قال: هو جمع رِهان: الذي هو جمع رَهْن، وحمله أبو علي على أنه جمع رَهْن، كسَحْل وسُحُل، وإنما ذلك لما ذهب إليه سيبويه من التحجير على جمع الجمع إلَّا فيما لا بُدَّ منه"[٣].
- وقوله: "وقرئ: ﴿خِطِف﴾ [الصافات:١٠] بكسر الخاء والطاء على إتباع كسرة الخاء كسرة الطاء، وهو ضعيف جداً، قال سيبويه: خَطَفه

(١) انظر: المدارس النحوية، شوقي (٢٩٠ ٢٩١)، في أصول النحو، الأفغاني (٢٣١)، خصائص مذهب الأندلس النحوي، الهيتي (٤٧).
(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الحارثي بالولاء، إمام النحاة، وأول من بسط الكلام في النحو، ألف كتاب (الكتاب) في النحو، لم يصنف قبله ولا بعده مثله، (ت١٨٠هـ)، انظر: أخبار النحويين البصرين، السيرافي (٣٨)، بغية الوعاة، السيوطي (١٢٩/٢).
(٣) المحكم (٢٤٨/٧).

واختطفه، كما قالوا: نَزَعه وانتزعه"[1].

- وقوله:"وفي التنزيل: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة:٨٨]، وقيل: معناه: صُمٌّ، ومن قرأ: (غُلُف) أراد جمع: غلاف، أي: إنها أوعية للعلم، ولا يكون جمع: أغلفَ، لأن (فُعُلا) لا يكون جمع (أفْعل) عند سيبويه، إلا أن يضطر شاعر"[2].

ففي هذه الأمثلة الثلاثة نجد أن ابن سيده يحتج بكلام ابن سيبويه إمام البصرية لإثبات هذه المسائل، ولا يعترض، ولا يناقش.

- وقوله:"وجمع المَعِيشَة (معايِشُ)، على القياس، و(معائِشُ)، على غير قياس، وقد قرِىء بهما، ورُوِيتْ عن نافع مهموزة، وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ"[3].

وهنا خالف البصريين؛ فأورد القراءة في معجمه، ووجهها بأنها جمعٌ على غير القياس؛ نظراً لوجود الشاهد في القراءة، وهذا مذهب كوفي[4].

- وقوله:"وفي التنزيل: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بينُكُم﴾ [الأنعام:٩٤]، أي: وصلُكُم، ومن قرأ: ﴿بينَكُم﴾ بالنصب، احتمَلَ أمرين:

أحدهما: أن يكون الفاعلُ مضمراً، أي لقد تقطَّعَ الأمرُ، أو العقدُ، أو الوُدُّ بينكم.

والآخر: ما كان يراه الأخفش من أن يكون ﴿بينَكُم﴾ - وإن كان منصوبَ اللفظِ - مرفوعَ الموضع بفعله، غيرَ أنه أُقِرَّتْ عليه نَصْبَةُ

(١) المحكم (٥/٧٣).

(٢) المحكم (٥/٣١١).

(٣) المحكم (٢/١٥٣)، وأجمع القراء العشرة على ترك الهمز، وروى خارجة عن نافع بالهمز وهي قراءة شاذة، انظر: لطائف الإشارات، القسطلاني (٥/٢١٦١)، الإتحاف، البنا (٢/٤٤).

(٤) انظر: معاني القرآن، الفراء (١/٣٧٣)، البحر المحيط، أبو حيان (٤/٢٧١)، حاشية الشهاب (٤/١٥٢-١٥٣).

الظَّرْف -وإن كان مرفوعَ الموضع-؛ لاطراد استعمالهم إياهُ ظرفاً"[1].

ففي هذه الأمثلة من كلامه يظهر جلياً كيف أنه يأخذ في الغالب بمذهب البصريين، وربما خالفهم، فيأخذ بمذهب الكوفيين وغيرهم، وهذا هو شأن علماء اللغة الأندلسيين، وليس عندهم وقوف عند إحدى المدرستين النحويتين، وإنما هم أكثر ميولاً إلى البصرية لأسباب ذكرت في الكتب التي عنيت بدراسة هذا الموضوع[2].

٢- مما يمتاز به ابن سيده أنه لا يورد قراءة إلا ويوجهها إما تصريحاً وإما تلميحاً، وهذا في غالب الحروف القرآنية التي تكلم فيها؛ لأنه لا يوردها إلا في سياق شرح مادتها اللغوية، وهذا بحد ذاته توجيه، وربما زاد عليه شيئاً من الكلام الذي تقتضيه الصناعة النحوية، وهذا وقع له في كثير من المواد التي أورد فيها قراءات.

٣- من التوجيهات ما يكون من اجتهاده هو، وبما جادت به قريحته ومعرفته في العلم، ومنها ما يكون بالنقل من غيره. فمن الأمثلة على توجيهه برأيه قوله:

- " وأما قراءة من قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ونصب المفعول الصريح؛ لأنه عندنا على حذف أحد نوني (نُنَجِّي)، كما حُذِفَ ما بعد حرف المضارعة في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩]، أي تتذكَّرون، ويشهد بذلك أيضا سكون لام ﴿نُجِّي﴾، ولو كان ماضياً لانفتحت اللام إلّا في

(١) المحكم (١٢/١٦٠).
(٢) انظر: في أصول النحو، الأفغاني (٢٣١-٢٣٣)، أثر المدرسة البصرية في النحو الأندلسي، كرار (١٠٧).

الضرورة"[1].

- وقوله: "وأما قراءة من قرأ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] بالوَقْف وترك الوَصْل، فإنَّما فعلوا ذلك؛ لأَنَّ رُؤُوس الآيات عندَهُم فواصل، ورُؤُوسُ الآي وفواصِلُها يَجْري فيها ما يَجْري في أواخر الأبيات والفواصل؛ لأَنَّه إنَّما خُوطِبَ العَرَبُ بما يعقلونه في الكلام المؤَلَّف، فيدلُ بالوقف في هذه الأشياء، وزيادة الحروف فيها – نحو: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] و﴿السَّبِيلاَ﴾ [الأحزاب:٦٧] و﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٦]– على أنَّ ذلك الكلامَ قد تمَّ وانقطعَ، وأَنَّ ما بعدَه مستأنفُ، ويَكْرَهُونَ أَنْ يَصِلُوا، فيدعوهم ذلك إلى مخالفة المصحف"[2].

ومن الأمثلة على توجيهه بالنقل قوله:

- "ومن الشاذ قراءة من قرأ: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشَرَةَ عيناً﴾ بفتح الشين، ابن جني: وَجْهُ ذلك: أن ألفاظ العدد تُغَـيَّرُ كثيراً في حد التركيب، ألا تراهم قالوا في البسيط: واحد، وأحد، ثم قالوا في التركيب، إحدى عَشْرة، وقالوا: عَشْر وعَشَرة، ثم قالوا في التركيب: عِشْرُونَ، ومن ذلك قولهم: ثلاثُونَ، فما بعدها من العقود إلى التسعينَ، فجمعوا بين لفظ المؤنث والمذكر في التركيب، الواو للتذكير وكذلك أختها، وسقوط الهاء للتأنيث"[3].

- وقوله:"وقال الزَّجاجُ[4]: من قرأ: ﴿نَشْراً﴾ فالمعنَى وهو الذي يُرْسِلُ الرياحَ مُنْتشرَةً نَشْراً، ومن قرأ: ﴿نُشُراً﴾ فهو جمع نَشُور،

(١) المحكم (٧/٣٨٥).
(٢) المحكم (١١/١١).
(٣) المحكم (١/٢١٨).
(٤) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، أخذ العربية عن المبرد، من مصنفاته: (معاني القرآن وإعرابه)، (ت١٣١١هـ)، انظر: إنباه الرواة، القفطي (١/١٩٤)، بغية الوعاة، السيوطي (١/٤١١).

قال: وقُرِئ: (بُشُراً) بالباء جَمْعُ بَشيرَةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦][1].

٤- سلك ابن سيده في توجيه القراءات شتى المسالك التي توجبها الصناعة النحوية، وفيما يلي بيان منهجه في التوجيه بشيء من التفصيل:

أولاً: التوجيه بطرق التعليل النحوية، وذلك كقوله:

- "هَيْتَ: تَعَجُّبٌ، تقول العرب: هَيْتَ للحِلْم.

وهَيْتَ لكَ، وهِيْتَ لكَ: أي: أقبل، وفي التنزيل: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣]، وقد قيل: ﴿هَيْتُ لك﴾ و (هَيْتِ لك) بضم التاء وكسرها، قال الزجاج: وأكثرها، (هَيتَ لك) بفتح الهاء والتاء، قال: ورويت عن علي عليه السلام: (هِيْتُ لك)، وروى ابن عباس: ﴿هِئْتُ لَكَ﴾ بالهمز وكسر الهاء من الهيئة، كأنها قالت: تهيَّأتُ لك، قال: فأما الفتح من ﴿هَيْتَ﴾ فلأنها بمنزلة الأصوات ليس لها فعل يتصرف منها، وفتحت التاء لسكونها وسكون الياء، واختير الفتح لأن قبلها ياء، كما فعلوا في (أين).

ومن كسر التاء فلأن أصل التقاء الساكنين حركةُ الكسر، ومن قال: چ هَيْتُ چ ضمها لأنها في معنى الغايات، كأنها قالت: دعائي لك، فلما حذفت الإضافة وتضمنت چ هَيْتُ چ معناها بنيت على الضم، كما بنيت حيث، وقراءة علي: (هِيْتُ لك) بمنزلة هَيْتُ لك، والحجة فيهما واحدة"[2].

(١) المحكم (٣٢/٨).

(٢) المحكم (٢٧٢/٤)، وقرأ المدنيان وابن ذكوان بكسر الهاء وفتح التاء من غير ألف، وقرأ هشام كذلك إلا أنه بالهمز، وله وجه آخر بضم التاء، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء من غير همز، وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء من غير همز، انظر: النشر، ابن الجزري (٢٣٨٩/٤-٢٣٩٢).

- وكقوله: "وعَذَابٌ بِئْسٌ، وبِيسٌ، وبَئِيسٌ على تَأْويلي في هذا النحو، وبَئِيسٌ: شديدٌ، وأما قراءة الأعمش: ﴿بِعذابٍ بَيْئِسٍ﴾ [الأعراف:١٦٥]، فبنى الكلمة مع الهمزة على مثال فَيْعِلٍ، وإن لم يكن ذلك إلا في المعتل، نحو: سَيِّدٍ ومَيِّتٍ وبابهما، فوجهها أن الهمزة، وإن لم تكن حرف علة، فإنها معرضة للعلة، وكثيرة الانقلاب عن حرف العلة، فأُجرِيتْ بَيْئِس عنده مجرى مَيِّت وسَيِّد وهَيِّن، كما أُجْرِيتْ التَجْزِيةُ مُجرى التَعْرِيةِ في باب الحذف والعوض، وبِيس كخِيس تجعلها بَيْن بَيْن، من بِئْسَ، ثم تحولها بعد ذلك ياء، وهذا بعد بَدَل الهمز، ليس بشيء"(١).
- وكقوله: "وعلى هذا قراءة ابن كثير: ﴿فاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى على سُؤْقِهِ﴾ [الفتح:٢٩]، وقراءة أبي عمرو: ﴿عادًا لُّؤْلى﴾ [النجم:٥٠](٢)، وتعليل ذلك: أن الواو إذا انضمت، فهمزها مطَّرِدٌ عند سيبويه، كوُجوه وأُجُه، فلما سَكَنَتِ الواوُ وقبلها ضمة، توهمت الضمة عليها، فهمزت لذلك، قال الفارسي: وليست بتلك اللغة الفاشية"(٣).

ثانياً: التوجيه بذكر الاشتقاق أو الأصل الصرفي، وذلك كقوله:

- "ومن الشاذ قراءة ابن عباس ومجاهد وعكرمة(٤): ﴿وعلى الذين يُطَوّقونه﴾ [البقرة:١٨٤]، و(يَطَوَّقونه)، و (يُطَيَّقونه)، و (يَطَّيَّقونه).

فيُطَوَّقونه: يُجعل كالطَّوق في أعناقهم.

(١) المحكم (٨/٣٧١-٣٧٢).
(٢) هذه رواية قالون عن نافع، وأما أبو عمرو فقرأها كذلك لكن دون همز، انظر: النشر، ابن الجزري(٢/١٢٨٨).
(٣) المحكم (١/١٢).
(٤) عكرمة بن عبد الله، البربري، المدني، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، (ت١٠٥هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/١٢)، طبقات المفسرين، الداوودي (١/٣٨٦).

ويَطَّوَّقونه: أصله: يتَطَوَّقونه فقلبت التاء طاء، وأدغمت في الطاء.

ويُطَيَّقونه: أصله: يُطَيْوَقونه، فقلبت الواو ياء كما قلبتها في سيِّد وميّت، وقد يجوز: أن يكون القلب على المعاقبة كتهَّور وتهيَّر.

ومن قرأ: (يَطَّيَّقونه)، جاز أن يكون: (يَتَفَيْعَلُونَهُ) أصله: يَتَطَيْوَقُونَه، فقلبت الواو ياء، كما تقدم في: ميّت، وتجوز فيه المعاقبة أيضاً على تهيّر.

ويجوز أن يكون: يُطَوَّقُونه، بالواو، وصيغة ما لم يسم فاعله: (يُفَوْعَلونه) إلا أن بناء (فَعَّلت) أكثر من بناء: (فَوْعلت)"[1].

- وكقوله: "وتقرأ هذه الآية على سبعة أوجه: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠]، معناه: أنه عَبَدَ الطاغوتَ من دون الله. و(عُبِدَ الطاغوتُ)، و(عَبُدَ الطاغوتُ)، معناه: صار الطاغوت يعبد، كما تقول: ظَرُفَ الرجلُ، و(عُبَّدَ الطاغوتِ) معناه: عُبَّادُ الطاغوتِ، و(عَبَدَ الطاغوتِ)، أراد عَبَدَة الطاغوتِ. قال أبو الحسن: عَبَدَ الطاغوتِ، اسم لجمع عابد كخادم وخَدَم، و(عُبُد الطاغوتِ) جماعة عابد، وقال الزجاج: هو جمع عبيد كرغيف ورُغُف، و(عَبْدَ الطاغوتِ) - بإسكان الباء وفتح الدال - يكون على وجهين: أحدهما أن يكون مخففاً من عَبُدٍ كما يقال في عَضُدٍ: عَضْدٌ، وجائز أن يكون عَبْدٌ اسم الواحد يدل على الجنس، ويجوز في عبْد النصب والرفع"[2].

ثالثاً: التوجيه باللغات، وذلك كقوله:

- "الصَّدَف: كلُّ مُرتَفَع عظيم كالحائط والجبل، والصَّدفُ: جانب الجبل، وقيل: الصَّدَف ما بين الجَبَلَيْن، والصُّدُفُ لُغَة فيه، عن كراع.

(١) المحكم (٦/٣٢٩).
(٢) المحكم (٢/٢٠).

وقال ابن دريد[1] الصُّدُفان بضم الدال: ناحيتا الشِّعْبِ أو الوادِي كالصَّدَّفيْنِ.

والصَّدَفانِ والصُّدُفانِ جبلان متلاقيانِ بيننا وبين يأجوج ومأجوج، وفي التنزيل: ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف:٩٦]، و﴿الصُّدُفَيْن﴾ قُرِئَ بهما"[2].

- وكقوله: "قَشَطَ الجُلَّ عن الفرس قشطاً: نزعه، وكذلك غيره من الأشياء، قال يعقوب: تميم وأسد يقولون: قَشَطت، بالقاف، وقيس تقول: كشطت، وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف؛ لأنهما لغتان لأقوام مختلفين، قال: وفي قراءة عبد الله ابن مسعود: ﴿وإذا السماء قُشِطَتْ﴾ [التكوير:١١] بالقاف، والمعنى واحد"[3].

رابعاً: التوجيه ببيان المعنى، وذلك كقوله:

- "وقرئ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ و﴿إِيَّابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]، أي رُجُوعَهُم، وهو فِيعالٌ من أَيَّبَ فَيْعَلَ، وقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ:١٠]، ويقرأ: (أُوْبِي مَعَهُ)، فمن قرأ: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ قلنا: يا جبال سَبِّحي مَعَه وَرَجِّعِي التَّسْبيح، ومن قرأ: (أُوْبِي معه)، فمعناه عُودِي معه في التَّسبِيح كلما عادِ فيه"[4].

- وكقوله: " ولـمَّا: بمعنى (حين)، ولـمَّا كـ (لَـمْ) الجازمة، وتكون بمعنى (إلا) كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق:٤] فيمن قرأ به،

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، صاحب (مقصورة ابن دريد)، وله أيضا (الاشتقاق)، و(جمهرة اللغة) وغيرها، (ت٣٢١هـ)، انظر: معجم الأدباء، الحموي (٢٤٨٩/٦)، سير أعلام النبلاء، الذهبي (٩٦/١٥).

(٢) المحكم (١٩٢/٨).

(٣) المحكم (٩٥/٦).

(٤) المحكم (٢٢٠/١٢).

أي: إلَّا عليها حافظٌ.

وتكون بمعنى (إلَّا) أيضاً في باب القَسَم، تقول: (سألتُكَ لـمَّا فعلتَ)، بمعنى: (إلاَّ فَعَلْتَ)"[1].

- وكقوله: "و(لا مَسَاسَ)، أي: لا تَمَسَّني، ولا (مِسَاسَ)، أي: لا مُمَاسَّة، وقد قرئ بهما"[2].

خامساً: توجيهه بما يقتضيه علم البديع القرآني كتساوي رؤوس الآي، وذلك كقوله:

- "وفي التنزيل: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ [الكهف:٥١]، أَي أعْضاداً، وإنَّما أفرد لتعتدل رءوس الآي بالإفراد"[3].
- وقوله: "وأما قراءة من قرأ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] بالوَقْف وترك الوَصْل، فإنَّما فعلوا ذلك؛ لأَنَّ رُؤُوس الآيات عندَهُم فواصل، ورُؤُوسُ الآي وفواصِلُها يَجْري فيها ما يَجْري في أواخر الأبيات والفواصل؛ لأنَّه إنَّما خُوطِبَ العَرَبُ بما يعقلونه في الكلام المؤَلَّف، فيدلُ بالوقف في هذه الأشياء، وزيادة الحروف فيها – نحو: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠] و﴿السَّبِيلاَ﴾ [الأحزاب:٦٧] و﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب:٦٦]– على أنَّ ذلك الكلامَ قد تمَّ وانقطعَ، وأَنَّ ما بعدَه مستأنفُ، ويَكْرَهُونَ أَنْ يَصِلُوا، فيدعوهم ذلك إلى مخالفة المصحف"[4].
- وكقوله: "ويَومُ التَّنادِّ: يومُ القيامة؛ لما فيه من الانزعاج إلى الحشر، وفي التنزيل: ﴿يَوْمَ التَّنَادِّ﴾ [غافر:٣٢]، وأما قراءة من قرأ: ﴿يَوْمَ التَّنَادِّ﴾،

(١) المحكم (١٢/٤٢).
(٢) المحكم (٨/٢٨٤).
(٣) المحكم (١/٢٤١).
(٤) المحكم (١١/١١).

فيجوز أن يكون من مُحوَّلِ هذا البابِ، فحذف الياء لتعتدل رءوس الآي، ويجوز أن يكون من النداء، وحَذَفَ الياء أيضاً لمثل ذلك"[1].

المبحث الرابع
مصادر القراءات في كتابه

قد علم أن ابن سيده كان واسع الاطلاع، قليل النظير في حفظ اللغة ومعرفة أسرارها، وهذا موجب لكثرة مصادره في شتى اتجاهات المعرفة في كتابه هذا، وهي كذلك في تقديري، إلا أن المؤلف قد جرى في التعامل معها على عادة اللغويين والنحويين عموماً، والأقدمين منهم خصوصاً من عدم التصريح بأسماء المصادر في الغالب، وفي تقديري أن أسماء المصادر في كتابه بالنسبة لمادة القراءات هي على أسلوبين:

الأول: أنه ذكر أسماء العلماء دون الإشارة إلى تعيين المؤلفات التي استقى منها هذه النقول، وكثرة النقول عنهم تدل على أنه نقل من كتبهم دون واسطة، مثل: سيبويه في كتابه[2]، وابن جني في المحتسب[3]، والزجاج في إعراب القرآن[4]، وثعلب[5]، واللحياني في النوادر[6]، والأخفش في معاني القرآن[7].

(١) المحكم (٩/٢٢٤).
(٢) انظر: المحكم (٥/٧٣).
(٣) انظر: المحكم (١/٢١٨).
(٤) انظر: المحكم (٨/٣٢).
(٥) انظر: المحكم: (٤/٣٨٨)، ولثعلب عدة كتب مفقودة يحتمل أن ابن سيده نقل منها: ككتاب معاني القرآن، وإعراب القرآن، والقراءات، انظر: الفهرست، ابن النديم: (١٠٠)، الأعلام، الزركلي (١/٢٦٧).
(٦) انظر: المحكم (١١/١٩٤).
(٧) انظر: المحكم (١/٢٠٨).

الثاني: مصادر نقل منها ولكن لم يذكر عنها شيئاً، وهذه يمكن الاجتهاد في تعيين بعضها، والظن بأنه اطلع عليها وأخذ منها وذلك لأمرين اثنين:

أحدهما: شهرة هذه المصادر في زمنه، وكونها عمدة في بابها.

و**ثانيهما**: وجود مادتها العلمية مضمنة في الكتاب.

وهذه المصادر مثل: السبعة لابن مجاهد[1]، الروضة للطلمنكي، التيسير وجامع البيان للداني[2].

خاتمـــــــة

وفي نهاية هذا البحث وختام هذه الدراسة أحب أن أحيط القارئ علما بأهم النتائج التي توصلت إليها من هذه الجولة البحثية في هذا الموضوع، وهي:

١- أن بين العلوم العربية والقرائية تداخلاً وتشابكاً كبيراً، بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر، فأقوى مصدر للغة العربية هو القرآن الكريم بقراءاته، كما أن موافقة العربية شرط من شروط قبول القراءة القرآنية.

٢- أن ابن سيده كان على دراية كبيرة بعلم القرءات، يدل على ذلك مقدار القراءات التي أوردها في كتابه المحكم ومنهجه في التعامل معها.

٣- أن ابن سيده قد وجه كثيراً من القراءات بالنص على وجهها لفظاً خاصاً بها، وكثير من القراءات سكت عن توجيهها اتكالاً على التوجيه السياقي؛ لأنها في جميع الأحيان إنما ترد في سياق بيان أبنية مادة من المواد اللغوية، وبالنظر في السياق يعرف التوجيه.

(١) أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر، التميمي، البغدادي، شيخ الصنعة، وأول من سبع السبعة، صاحب كتاب (السبعة)، (ت٣٢٤هـ)، انظر: معرفة القراء، الذهبي (٢/٥٣٣)، غاية النهاية، ابن الجزري (١/١٣٩).

(٢) عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو، الداني، شيخ القراء، صاحب (جامع البيان في القراءات السبع) و(التيسير في القراءات السبع)، (ت٤٤٤هـ)، انظر: معرفة القراء، الذهبي (٢/٧٧٣)، غاية النهاية، ابن الجزري (١/٥٠٣).

٤- أن ابن سيده كان يقول في القراءات وتصنيفها إلى متواتر وشاذ بقول جمهور العلماء المشهور في زمنه بحسب استقراء كلامه وعدم مخالفته لهم.

٥- أن ابن سيده في استعماله لبعض المصطلحات كان يذهب في ذلك مذهب اللغويين، مثل: كلمة (شاذ)، و (قرئ) المبني للمفعول، و (نادر)، ولا يذهب في ذلك مذهب القراء، وبين الاصطلاحين اختلاف كما هو معلوم.

٦- انحصرت ضروب تعامله مع القراءات التي يوردها إلى ثلاثة أضرب:

أ. سبب الإيراد للقراءات، هو إثبات معنى لغوي أو بنية اشتقاقية صرفية.

ب. الضبط، والغالب عليه إهماله اتكالاً على سياق المادة إذ ذاك بين فيها، وفي كثير من الأحيان كان ينص على ضبط الألفاظ بما تحتاج إليه من أنواع الضبط.

ت. التوجيه، وذلك إما بالنص على توجيه القراءة على ما تقتضيه الصناعة النحوية واللغوية، أو بترك ذلك اتكالاً على السياق في بيان المادة التي منها الحرف المختلف فيه.

٧- مذهب ابن سيده النحوي هو مذهب أئمة المدرسة الأندلسية التي تجمع بين المدرستين البصرية والكوفية وهي أميل كثيراً إلى البصرية.

التوصيات:

١- أوصي بأن تقوم بعض الدراسات العلمية سواء كانت أطروحة أو غيرها بدراسة جميع كتب ابن سيده من جهة القراءات، فإنني قد اطلعت على

مادة كثيرة لا يستهان بها وتحتاج إلى جمع ودراسة وتقريب ليستفيد الباحثون من تراث هذا الإمام.

٢- من خلال دراستي لكتاب المحكم، اطلعت على كثير من المعاجم اللغوية، ووقفت على ما تحتويه من القراءات القرآنية مصحوبة في الغالب بتوجيهاتها، فأرى أن من المفيد أن تقوم الجهات المعنية بالدراسات القرائية بمشاريع بحثية، تقرب للباحثين ما تضمه هذه المعاجم من القراءات، مع دراستها دراسة معمقة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- أثر المدرسة البصرية في النحو الأندلسي، كرار، منى أحمد الحسين، الخرطوم، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٣٣هـ.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، ط:١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، ط:١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥م.

- البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:١، القاهرة، دار هجر، ١٤١٨هـ.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي، تحقيق: د.سهيل زكار، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط:١، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ط:١، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى، تصوير دار الفكر عن نشرة الطبعة الخيرية بمصر (د.ت).
- تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، عمر بن مظفر، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، ط:٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط:١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

- الثقات، ابن حبان، محمد بن حبان الدارمي، دائرة المعارف العثمانية، ط:١، حيدر أباد الدكن، ١٣٩٣هـ.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، الحميدي، أبو الحسن محمد بن فتوح، تحقيق: د. بشار عواد معروف و محمد بشار عواد، ط:١، تونس، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٩هـ.
- خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، الهيتي، عبد القادر رحيم، ط:٢، ليبيا، جامعة قان يونس، ١٩٩٣م.
- الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية حضارية، القحطاني، علي بن أحمد بن عبد الله، مكة المكرمة، كلية الشريعة بجامعة أم القرى، ١٤٠١هـ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، (د.ط)، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، (د.ت).
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الشنتريني، علي بن بسام، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٩م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد الله الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، ط:٢، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، تحقيق: د.شوقي ضيف، ط:١، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي، تحقيق: محمد الأرناؤوط، ط:١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، عني بنشره: السيد عزت العطار الحسيني، ط:٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٧٤هـ.
- طبقات الأمم، صاعد بن أحمد الأندلسي، تحقيق، لويس شيخو، (د.ط)، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩٤٢م.
- طبقات المفسرين، الأدن وي، أحمد بن محمد، تحقيق، سليمان بن صالح الخزي، ط:١، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ.
- طبقات المفسرين، الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تصوير دار الجيل، بيروت.
- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، عني بنشره: برجستراسر، ط:٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.
- الفهرست، ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط:٢، بيروت، دار المعرفة، ، ١٤١٧هـ.
- فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، تحقيق: إحسان عباس، ط: ١، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣م.

- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ط:٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧م.
- القصيدة الحصرية، الحصري، أبو الحسن علي بن عبد الغني، تحقيق: د.توفيق العبقري، ط:١، القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ، ١٤٢٣هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، (د.ط)، القاهرة، المطبعة الميرية، ١٣٠٠هـ.
- لسان الميزان، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط:١، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، القسطلاني، أبو العباس حمد بن محمد، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط:١، المدينة المنورة، ١٤٣٤هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط:٢، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٤٢٤هـ.
- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ط:٨، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، اليافعي، عبد الله بن أسعد ، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى، ط:١، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ.

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، الإشبيلي، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط:١، الأردن، بيروت، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ.
- معجم الأدباء، الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ.
- معجم السفر، السلفي، أبو طاهر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، (د.ط)، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، ١٤١٤ه.
- المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين نصار، ط:٤، القاهرة، دار مصرللطباعة، ١٤٠٨هـ.
- معجم المعاجم، إقبال، أحمد الشرقاوي، ط: ٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تحقيق: د. طيار آلتي قولاج، ط:١، استابول، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ١٤١٦هـ.
- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، لأبي الخير محمد بن محمد، تحقيق: د.أيمن رشدي سويد، ط:١، بيروت، دار الغوثاني للدراسات القرآنية،١٤٣٩هـ.
- نكث الهميان في نكت العميان، الصفدي، صلاح الدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ.
- الوافي بالوفيات، الصفدي،صلاح الدين، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط:١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت، دار صادر، (د.ت).